النهار ١٩٥٥/٥/٨

« اهل القلم » يحيون في ميشال شيحا الانسان والمفكر والمطلع والشاعر واللبناني

صبيحة التاسع والعشرين من كانون الاول الفائت غاب ميشال شيحا مودعاً الوجود اللبناني مع العام المنقضي . وعشية امس السبت ، وفي امسية من نوار الشهر الاحب عند ميشال شيحا ، التقى « اهل القلم » باهل ميشال شيحا : ادباء وصحفيين ورجال سياسة وحكم وقضاء واقتصاد وفلسفة ليحيوا في ساعتين من الزمن خمسة وثلاثين عاماً كانت احفل اعوام في حياة ميشال شيحا وكانت عمر لبنان الحديث ، او بالاحرى ، عمر « الجمهورية اللبنانية » التي رافق ولادتها ونموها وتطورها وعانى مشاكلها وعثراتها وتمسك بها حتى آخر كلمة خطها في « الجور » في ثالث اسبوع من شهر كانون الاول عام ١٩٥٤ .

ميشال شيحا يرقد بيننا على شاطىء البحر الذي آمن بحضارته وآمن بمستقبل شعوبه . ويرقد فكره في كتابي « المحاولات » و« اللحن الخالد » وهو ، بعد ، جزء صغير موزع في حنايا كل فرد من افراد جيلين تعاقبا على لبنان . ويكفينا من حفلة ذكراه عشية السبت انها تبعث فينا ايماناً بالمستقبل وانها تدفع كلاً منا لاعادة قراءة ميشال شيحا . ففي قراءته منطق الوجود اللبناني ومبرراته وضرورات استمراره .

ميشال ابو جوده

حاول الادباء ورجال الفكر الذين تعاقبوا امس على الكلام ان يحيطوا بشخصية ميشال شيحا من جميع مظاهر نشاطاتها . منهم من عرف ميشال شيحا معرفة شخصية ، وعن كثب ، ومنهم من عرفه من خلال كتاباته وآرائه . فجاءت الكلمات متفاوتة في اكتناه شخصية المفكر وان لم تتفاوت في تقدير ميشال شيحا من حيث هو طاقة من معرفة وذكاء وعمق وايمان .

صلاح لبكي
وميشال شيحا الانسان

كانت الكلمة الاولى للاستاذ صلاح لبكي رئيس جمعية « اهل القلم » متجدثاً عن « ميشال شيحا الانسان » فنظر اليه من زاوية انسانيته الشاملة وانسانيته اللبنانية فعبر عن الحقيقة التي تمنى ميشال شيحا ان تعرف عنه . ولعل في هذا المقطع ما يصور شخصية ميشال شيحا وانسانيته :

« والان فليست هي فكرة الموت ما يروعنا ، ان للانسانيين ، للمفكرين العباقرة ، مصيراً روحياً يختلف عن مصائر الآخرين . مصيراً يخلدهم ، فوق خلودهم ، في الذكريات حتى لا يكاد الانتقال من الحياة الى الموت يحدث ما يحدث الفراق من شعور بالحزن . لي يتحول موضوعاً لتأمل عميق لا يتسرب منه الا النور الى القلوب .

ان الموت لم يضع حداً لحياة ميشال شيحا فميشال شيحا لا يزال ينبوعاً نقياً صافياً لا ينضب معينه .

عي الدين النصولي
وميشال شيحا المفكر

ثم تكلم الاستاذ محي الدين النصولي وزير المالية والانباء ، وقد عرف ميشال شيحا زميلاً له في الصحافة وصديقاً يبادله الرأي والمشورة وكان مما قاله عن « المفكر » :

« جلست الى ميشال شيحا قبل ميشال شيحا ولم يعرفه فهو الدكتور سليم حيدر وزير الزراعة . الا ان الوزير عرف كيف يتكلم عن « الشاعر » في ميشال شيحا وهي احب صفة الى قلب مفكرنا . قال الدكتور حيدر في مقطع من مقاطع كلمته عن مفهوم ميشال شيحا للشعر :

« لا وزن ولا قافية . وانما احساس عجيب بجرس الكلمات ، وبتساوق الالفاظ واتساق الانغام ، في تساوق العواطف والصور والافكار ، واتساقها ، وحدة منسجمة موقعة على نغم داخلي ، توقيعاً غير مؤمل ، بحيث ينتشي الكيان ، كل الكيان ، جسماً وعقلاً وروحاً »

واستشهد شاعرنا بكلمة لميشال شيحا عن الشعر كان يحب ترديدها دائماً : « ما مصيرنا لولا الشعر الذي هو صلاة والذي هو موسيقى ، الذي هو جمال والذي هو حب ، ان ينام توءمته الاخيرة بايام قلائل ، واقضيت اليه بما في نفسي ولم اخف عليه العبء الثقيل الذي اكاد انوء به وانا اتسلم تبعات وزارة المالية ، فساط اضواء حكمته على هذا الطالب المستطلع الذي جاء يسعى اليه يقتبس عن الحكمة ، فاحس عند نهاية اللقاء ، وكان لقاؤنا اللقاء الاخير ، بان العبء الثقيل الذي احمله تضاءل وتضاءل ليصبح هباء ، فاذا بي وانا اودعه ازهى شباباً ، واخف حركة واشد ايماناً اني بالغ المحجة في خدمة هذا الوطن الصغير ـ لبنان ـ »

« عشت معه في كتابه الاخير الذي رآه مقالات تنشر في جريدته « ليجور » منذ عام ١٩٤٦ حتى نهاية عام ١٩٥٣ ، ورأيناه كتاباً يضم الفكر ، الفكر البناء الرفيع . فاذا قلبه الكبير الذي توقف عن الخفقان نلمسه في اغاني هذا الوجود الرائعة وفي موسيقى الذكرى المشجعة عشت معه ، في جوه ، وفوق الذروات التي كان يحبها ، ويحب ان يفكر فوقها لا يهمه ان كانت السماء صافية الاديم ، او كانت ملبدة بالغيوم ، فالمهم ان تتطهر انفسنا ، وان تتصعد على اجنحة الملائكة نحو السموات العلى ، نحو الحقيقة التي تحررها والتي مهما تتعثر ، ونحن ننشدها ، فلها البقاء ولها الخلود »

والقى الاستاذ الياس تيان وهو اقرب صديق لميشال شيحا كلمة عن صديقه « المطلع » بالفرنسية قال فيها ان كل ما يجب ان يقال عن ميشال شيحا قد قيل ولم يبق الا ان نفهمه ولعل مؤرخاً او كاتب سيرة يتولى مهمة كتابة قصة حياة ميشال شيحا ليتعرف عليه الانسان كما كان بالفعل

سليم حيدر
وميشال شيحا الشاعر

وهذه العبارة العميقة « ان عصراً بلا شعر لهو عصر خاسر . وان مدنية بلا شعر لهي مصيبة عالمية »

ميشال اسمر و« شخصية لبنان »

وكانت الكلمة الاخيرة للاستاذ ميشال اسمر مؤسس « الندوة » واحد القلائل الذين عرفوا ميشال شيحا عن كثب ، فتحدث عن شخصية لبنان وشخصية ميشال شيحا دامجاً بين الاثنتين مستعرضاً تاريخ حياة لبنان الحديث الذي رافقه ميشال شيحا خطوة خطوة وكان اشمل ما قاله عن صديقه وصديق « الندوة » :

« مكتنى الندوة اللبنانية في السنوات العشر الاخيرة من توثيق عرى الصداقة بيني وبين قادة الرأي في البلاد فاستطعت هكذا ان اكتشف عند الكثيرين منهم عقولا نيرة واخلاصاً وطنياً صافياً وروحاً قومية بناءة . وهكذا ليس في نيتي ان اغمط حق احد منهم في نهضة وطننا الحديثة . ولكني على يقين انهم يوافقونني على ان ميشال شيحا كان معلم الجميع وان شخصية لبناننا اليوم مدينة له بتحديدها وبروزها واشعاعها

« لقد كان نقطة ارتكاز في لبنان وبعد غيابه يتوجب على جميع اللبنانيين ، حكومة وشعباً ، ان يزيدوا في الحذر والسهر على وطنهم ويجهدوا في الحفاظ على رسالته .

لقد سلمنا ميشال شيحا وطناً بناه قلبه وعقله بالمحبة والتيقظ وعرق الجبين . فلنحذر ان ننسبه الى الماضي ، رسالة ميشال شيحا المستقبل ، وعلى اصحاب السلطة عندنا ، وعلى الصحف الوطنية ، وعلى خطباء الليلة ، وعلى ارباب الفكر وحملة الاقلام ، وعلى مؤسسة ميشال شيحا ، وعلى كل صاحب مسؤولية في هذا البلد ان يكونوا امينين لهذه الرسالة فيستوعبوها كاملة ويعمموها خميرة بعث ونهضة وامل في لبنان والشرق